النظرية الأدبية والدرس النقدي:

سامية بن دريس

المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف _ ميلة _

2 أفريل 2021

مفتاح المصطلحات

مدخل القاموس

مختصر

مرجع بيبليوغرافي

مرجع عام

قائمة المحتويات

وحدة

أن يتعرف الطالب على مفهوم المنهج النقدي.
- أن يميز الفرق بين المناهج النقدية السياقية والنسقية .
- أن يصنف أنواع المناهج النقدية السياقية وآليات اشتغالها وأن يفهم دورها في تحديد مفهوم النظرية الأدبية.
- أن يتبين أسس المناهج النسقية وأنواعها وأن يتبين دورها في تحول النظرية الأدبية.
- أن يحدد أثر منجزات نظريات القراءة والتأويل والنقد الثقافي على النظرية الأدبية.

مقدمة

المناهج النقدية هي الآليات التي يستخدمها دارسو الأدب من أجل قراءة النص وتأويله والوقوف على قيمه الجمالية والفكرية، أو هي الأدوات التي توظف من أجل مقاربة الظاهرة الأدبية.

I النظرية الأدبية والنقد السياقي:

آ. المقاربة بالمحتوى:

المناهج النقدية السياقية:

لاشك أن إسهامات الدرس النقدي في ميدان النظرية الأدبية يحيلنا إلى جملة من المداخل القرائية، سياقية كانت أو نسقية أو ما بعدها، غير أن الاختلاف بينها يكمن في درجة فاعلية هذه المداخل، وأثرها على الجانب التنظيري للأدب، فضلا عن التوجه به نحو العلمنة ومحاولة إخضاعه لشروط موضوعية من أجل محاصرة الظاهرة الأدبية. ففي ميدان النقد السياقي توالت عدة نظريات ساعية إلى تفسير الظاهرة الأدبية وبواعثها، مثل نظرية التعبير ذات التوجه الرومانسي، والتي أراد أصحابها ضخ دماء جديدة في الجسد الأدبي وتحريره من قيود المحاكاة، وإفساح المجال أمام العواطف الفردية للانبثاق والتحرر تحت تأثير فلسفة كانط (1724- 1800) وهيجل (1770- 1831) التي تمجد الفردانية والحرية الفردية وأفكار الثورة الفرنسية، وهكذا حدث تحول عميق في النظرية الأدبية بالسعي إلى التحرر من هيمنة الصنعة التي عمرت طويلا مع نظرية المحاكاة، فظهرت نظرية التعبير لتفسح المجال أمام العواطف الذاتية والخيال ليتحررا، وتصبح غاية الأدب هي التعبير عن العواطف الذاتية.

غير أن تحري البحث لوضع أسس لدراسة النص الأدبي قادت الباحثين، إلى وضع آليات من شأنها إضفاء شيء من العلمية والموضوعية، فانبثق عن ذلك المنهج التاريخي ، الذي يعدّ أقدم المناهج النقدية؛ حيث تبلور على يد سانت بوف ثم هيبوليت تين وبرونتيير ثم لانسون وقد بنى هذا المنهج على ثلاثية الجنس والبيئة والزمن، من خلال:

- تحديد العلاقة بين الأديب بمحيطه، وتأثير البيئة عليه.
- اعتبار النص الأدبي وثيقة تاريخية.
- الربط بين النص الأدبي والنصوص التي تمثل مرحلة من المراحل.
- الربط بين النص الأدبي وتاريخ الأمة.

من جانب آخر برزت نظرية الانعكاس التي انبثقت عن الفلسفة الاجتماعية وتوجيهها للفن، تحت تأثير الفلسفة الماركسية، بموضعة الأدب داخل النسق الإيديولوجي الذي يسعى لخدمة أغراض اجتماعية تحت مسميات الواقعية خاصة منها الواقعية الجديدة، أو الاشتراكية التي تشبعت بالأفكار الماركسية، وجعلت من الأدب والنقد وسيلة لخدمة أغراضها، أو كفاعلية اجتماعية توظف آلياتها لخدمة المجتمع، وكرد فعل على مدرسة الفن للفن. من هنا برزت مقولة الأدب والإيديولوجيا ، فأغرقت النصوص الأدبية والنظرية النقدية بمحمولات ذاتية وتنظيرات تخدم العقيدة السياسية والاجتماعية للأديب والناقد معا. وكان جورج لوكاتش أحد منظريها، وهو الذي استحدث مقولات البنية التحتية والبنية الفوقية والالتزام في الأدب. ومن هنا انبثق المنهج الاجتماعي الذي يعنى بأثر السياق في النص الأدب أو يبحث عن التمثلات الاجتماعية والسياسية المتوافقة مع الفلسفة والرؤية الماركسية وطموحات الواقعية الاشتراكية.

وما يقال عن المنهج الاجتماعي يقال بدوره عن المنهج النفسي الذي يعتمد على منجزات مدرسة التحليل النفسي المستمدة من المذهب الفرويدي، وينظر إلى النص على أنه وثيقة نفسية، تعكس الحالات النفسية للأديب.

وأما النقد الأسطوري - على قلة انتشاره - فكان يبحث عن تجلي النماذج العليا والأساطير في الآداب العالمية، حيث وضع أسسه الناقد نورثروب فراي في كتابه " تشريح النقد"، تحت تأثير منجزات العالم النفسي كارل يونغ المتعلقة بالنماذج العليا.

ومن هنا فإن النظرية النقدية عنيت بالجانب المضموني للنص، حيث اشتغل أصحابها على إبراز محتواه الفكري، مع ربط النص بالبيئة والمجتمع وحياة المؤلف.

وعلى العموم فقد بالغت النظرية السياقية في الدوران حول المحيط الخارجي للنص، مسترشدة تارة بالتاريخ وتارة أخرى بحياة الأديب وإيديولوجيته، بل تعدى ذلك إلى تطبيق مقولات التحليل النفسي الفرويدي على النصوص الأدبية ذاتها، لا ستخراج جملة من العقد أو الأمراض، وأهملت المركز الذي هو النص الأدبي، مستقصية مدى استجابته لمقولات السياق.

1. المقاربة بالشكل:

أفضت النظريات الاجتماعية والنفسية التي طبقت على النصوص الأدبية إلى تمييع جوهر أدبيتها، مما استدعى إعادة النظر ومراجعة المقولات السائدة، بل ونقضها (وهي قاعدة أساسية في الثقافة الغربية.) فجاء الشكلانيون الروس (شلوفسكي، جاكبسون، اخنباوم، توماشوفسكي...) ووجهوا دراساتهم نحو النص ذاته، عن طريق إعادة إنتاج شبكة مصطلحية ومفاهيمية تقوم على الاتفاق على الطابع التخييلي للأدب، الذي يقوم على مكون أساسي هو اللغة، هذه الأخيرة التي توظف بطريقة غريبة أو« " تمثل عنفا منظما يرتكب في حق اللغة العادية" » كما ذهب إلى ذلك جاكبسون. فأصبح ينظر إلى الأدب على أنه واقعة مادية، وليس تعبيرا عن الأفكار والعواطف. ومن ثم فاللغة الأدبية " «هي مجموعة من الانحرافات عن المعيار ونوع من العنف اللساني، أي أن الأدب نوع خاص من اللغة" » مشيرين إلى الاختلافات الموجودة على مستوى الطبقة والمنطقة والجنس والمكانة. غير أن هذا التحول الذي أسس له الشكلانيون الروس، خلال الربع الأول من القرن العشرين لم يتجسد إلا مع ستينيات القرن نفسه، بعد ترجمة أعمالهم إلى الفرنسية، حيث برزت أصداء مقولات جاكبسون وباختين وبروب وتجلت في نقد جديد هو النقد النسقي.

ولهذا نرى أن النظرية الأدبية قد عرفت تحوّلا جذريا على مستوى فلسفتها ومنهجها مفسحة المجال لبروز مفاهيم جديدة حول الأدب ذاته، مرتكزة على مجمل المقولات التي انبثقت عن النظرية البنيوية، التي تنظر إلى البنية الداخلية للنص باعتبارها المكون الفعلي، أي شكلا قوامه المادة اللغوية، معلية من شأن سلطة النص و بإعلان موت السياقات التاريخية والاجتماعية والسياسية، مع الاعتداد بالمحايثة و القول بالنسق المغلق ورفض أي تأويل خارجي، من أجل مسعى "«واحد مشترك هو الرغبة ف ي تحقيق دراسة علمية موضوعية بعيدا عن الاعتبارات الذاتية »" .

وعليه يمكن القول إن المشروع البنيوي كان يسعى لتحقيق ثلاثة أبعاد هي:

أ.النص نظام أو بنية خاصة.

ب.النص يتأثر بنصوص أخرى على مستوى البنيات الشكلية.

ج. العلاقة بين النص والثقافة ككل .

_ الأدب باعتباره علامة:

وستفضي هذه المقولات بدورها إلى ظهور نظرية التناص لدى جيرار جينيت وجوليا كريستيفا وشعريات جاكبسون وما نتج عنها من دراسات. وبأفول نجم البنيوية، وتحول بعض روادها (بارث، دولوز، فوكو) إلى السيميولوجيا التي تنظر إلى النص باعتباره علامة، وبتحول رولان بارث مثلا من البنيوية إلى سيميولوجيا الدلالة، تناول مسائل المتعة واللذة والنسيج والسيميوزيس ومع جوليا كريستيفا عن طريق التحليل الدلائلي (السيمانااليز). وتحول الأدب إلى مفهوم أوسع هو الكتابة والأثر مع جاك دريدا الذي اعتمد التفكيك وانتقل إلى الكتابة باعتبارها مفهوما واسعا، ينفتح على شتى الحقول المعرفية (في كتابه : "الغراماتولوجيا "أو "علم الكتابة".

كما برز مفهوم علم النص باعتباره ممارسة دالة، وإنتاجية (كما قالت جوليا كريستيفا) ترتبط بنصوص أخرى من شتى المشارب المعرفية.

وبطبيعة الحال فقد أثرت هذه المعطيات الجديدة على نظرية الأدب التي ربطت بينه وبين الثقافة عامة ومنحته مفهوما واسعا يتداخل فيه الفلسفي مع الأدبي والجمالي.

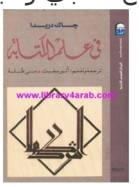

فرنسية

ا) النظرية الأدبية والتأويل:

التأويل والقراءة:

لقد أدى انفتاح الأدب على شتى الحقول المعرفية ،بما فيها الرياضيات والبيولوجيا والإعلام والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها ، إلى تحميله بمادة معرفية كثيفة، ومن ثم استوجب الالتفات إلى علاقة النصوص الأدبية بالثقافة عموما، ولا سيما ثقافة العصر، مما فتح آفاقا جديدة أمام التأويل،بإعادة

الاعتبار لدور للقارئ الذي عدّه آيزر وياوس قطبا مركزيا في تأويل النص وقراءته، حيث يذهب أمبرتو إيكو في كتابه " القارئ في الحكاية" (*lactor in fabulla*) إلى أن النص" نسيج من الفضاءات التي يجب ملؤها، وأن الذي أنتجه كان ينتظر دائما بأنها ستملأ " من قبل المتلقي ولكي يمر النص من« "الوظيفة التعليمية إلى الوظيفة الجمالية يريد أن يترك للقارئ المبادرة التأويلية" »

بينما ستتم استعادة الأنساق بظهور النقد الثقافي الذي ينظر إلى الأدب باعتباره نسقا ثقافيا، محاولا التركيز على خطابات ظلت مقصاة من اهتمام الدائرة المركزية، وسيحاول تسليط الضوء على خطاب الهامش في الثقافات الأخرى، والبحث عن الأنساق المضمرة في مختلف الخطابات التي تتخفى تحت الرأسمال الجمالي والبلاغي، وستظهر الدراسات ما بعد الاستعمارية مع إدوارد سعيد ونهومي بهابها. بل وسيظهر تيار النقد النسوي، ليحدد موضوعة الجنوسة باعتبارها مفهوما ينضوي تحت مفهوم الأدب، فضلا عن موضوعات أخرى أفرزتها تعقيدات العصر مثل الأدب والنقد الإيكولوجيين.

فرنسية

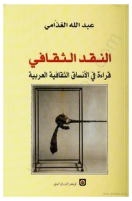

فرنسية

* *

*

وعلى العموم فإن النظرية الأدبية مفهوم ديناميكي غير ثابت لأنه يرتبط بمتغيرات فكرية ونظرية على مستوى النقد الأدبي، وتاريخ الأدب، لذلك فإن تحولات النظريات النقدية يعد عاملا هاما في تحول النظرية الأدبية ذاتها. الأمر الذي أثبته تاريخ الأدب على مدار القرون.

ولاشك أن تجسيد هذه التحولات قد تمثله الأدب التفاعلي الذي قدم منظورا جديدا للنظرية النقدية نتيجة اتصال الأدب بالتكنولوجيا والتداعيات التي نتجت عن ذلك.

قائمة المراجع

[جوليا كريستيفا] علم النص
[محمد عبد الله الغذامي] النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية.